

منهجية تحقيق تراث المغرب الإسلامي المخطوط عند ليفي بروفنسال
كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب أمودجا"

الدكتور/ حساين عبد الكريم

قسم العلوم الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

Abstract :

No one could argue that the school Orientalist outlook was the first to digging in the heritage of Islamic Maghreb and the unmasking of some of its features, and that despite the many criticisms that have been addressed to it, has contributed to the school Orientalist outlook effective contribution in the dusting off the heritage of Islamic Maghreb. And therefore provided researchers in the historic field very important information, which enabled them to accomplish their research and studies. And whether the school Orientalist outlook had advised the good service to dust this heritage dissemination, it could not in any way be overlooked the speech ambushes orientalist, some orientalist who have reputations and their fame like Dosi, Miranda, was fully aware of the inherent their hatred of the Arabs and Muslims, and leaving the historic substantive, which sometimes lead to a distortion of the landmarks of the heritage of the Islamic Maghreb and false charges and before this quantity of European Studies, which

dealt with this heritage were and an investigation, the researcher found himself before a real dilemma, perhaps including absence of the initial principles scientific curriculum in the investigation of these Orientalists, then the distortion of many of the issues contained in the manuscripts through condoned without discussion scientific vision Fair.

مقدمة:

لا أحد يجادل في أن المدرسة الإستشراقية كانت سبابة إلى الحفر في تراث المغرب الإسلامي، وإمالة اللثام عن بعض معالمه، وذلك بالرغم من الانتقادات الكثيرة التي ظلت موجهة إليها، لقد ساهمت المدرسة الإستشراقية مساهمة فعالة في نفخ الغبار عن تراث المغرب الإسلامي. وبالتالي وفرت للباحثين في الحقل التاريخي معلومات في غاية الأهمية، مكنتهم من إنجاز بحوثهم ودراساتهم.¹

وإذا كانت المدرسة الإستشراقية قد أسدت خدمة طيبة لنفخ الغبار عن هذا التراث ونشره، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال كمائن الخطاب الإستشراقي، فالدارس لبعض المستشرقين الذين لهم سمعتهم وشهرتهم من أمثال دوزي،² وأشباح،³ وميراندا، يدرك تمام الإدراك كراهييتهم المتأصلة للعرب والمسلمين، وخروجهم عن الموضوعية التاريخية،⁴ الأمر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى تشويه معالم تراث المغرب الإسلامي وإلحاقهما باطله به، وأمام هذا الكم من الدراسات الأوروبية التي تعاملت مع هذا التراث تأليفا وتحقيقا، يجد الباحث نفسه أمام معضلة حقيقية لعل من بينها غياب المبادئ الأولية للمنهج العلمي في

التحقيق عند هؤلاء المستشرقين، ثم تحريف الكثير من القضايا التي وردت في المخطوطات عن طريق السكوت عنها دون مناقشتها برؤية علمية نزيهة.⁵

وللوقوف على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تبني نموذج تحقيق الأستاذ ليلي برونفسال للجزء الأول من كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لمؤلفه ابن عذاري أحمد بن محمد المراكشي، فمن خلال هذا النموذج سنحاول الوقوف على منهجية الأستاذ في التحقيق، أو بكلمة أخرى الطريقة التي اتبعها الأستاذ ليلي برونفسال في تحقيق هذا الكتاب.

لا بد من التنويه منذ البداية بهذا الكتاب، حيث يهتم ابن عذاري فيه بأخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سنة 478هـ فيما يتعلق بأخبار الأندلس، وفيما يتعلق بأخبار المغرب حتى سنة 667هـ.

نشر المستشرق دوزي الجزء الأول والجزء الثاني محققين بين عامي 1848 و1851، ثم نشر الأستاذ ليلي برونفسال الجزء الثالث من الكتاب عام 1930، ثم أعاد المستشرق دي كولان (Colin) وليفلي برونفسال نشر الجزء الأول والجزء الثاني عام 1948، ثم نشر الكتاب في أربعة أجزاء في دار الثقافة بيروت سنة 1967. وكان الجزء الأول والثاني مصورين عن طبعة دوزي، والثالث كان مصورا عن طبعة ليفلي برونفسال، والرابع بتحقيق احسان عباس، ولم يذكر في هذه الطبعة الجزء الذي نشره المستشرق ميراندا وسماه القسم الثالث، ثم ظهر "البيان المغرب" (قسم الموحيدين) بتحقيق جماعة من الباحثين في بيروت سنة 1406هـ/1985م.

ولا مراء في أن الأستاذ ليفي بروفنسال - محقق الجزء الأول من كتاب "البيان المغرب" - أمضى سنوات طويلة منكبا على دراسة تراث المغرب الإسلامي تأليفا وتحقيقا، استحق أن يحتل مكانة خاصة على خريطة المتخصصين في تاريخ المغرب الإسلامي⁶ فلا يمكن للباحث في التاريخ إنكار جهوده في نشر عدد هام من ذخائر الفكر المغربي ككتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن لابن مرزوق، نشره في باريس عام 1925م، وأخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين مع نبذ من مختصر كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب المعروف بالمقتبس لمؤلفه أبي بكر علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، وقد نشره ليفي بروفنسال في باريس عام 1928م، وللوقوف على مدى نجاح المحقق في إلزام القواعد العلمية في التحقيق، وإتباع الضوابط العلمية في منهجيته، سأورد نموذج لأعماله، يتعلق الأمر بالجزء الأول من كتاب البيان المغرب الذي نشره عام 1930م.

يجب أن نبرز في البداية أن ليفي بروفنسال رغم علو كعبه في حقل تاريخ المغرب الإسلامي، إلا أنه لم يتعمق كثيرا في دراسة المصادر التاريخية التي حققها. إذ أن هذه المصادر غير محققة بالكيفية التي تتطلبها قواعد التحقيق، فأعماله تبقى مجرد نشر فقط، وفي الآن نفسه، يستنتج كل متفحص لعمل ليفي بروفنسال أنه اصطدم بمشكل اللغة العربية، فهو وإن كان قادرا على قراءتها وفهمها، فإنه لم يكن مؤهلا لإستيعابها⁷ لذلك جاء تحقيقه للكتاب (البيان ج1) مليئا بالأخطاء اللغوية وهو ما سنبينه لاحقا.

إن إلقاء نظرة فاحصة للكتاب الذي حققه تجعلنا نلاحظ ما يلي:

- لم يورد المحقق سيرة ابن عذارى أحمد بن محمد المراكشي مؤلف الكتاب وثقافته وهي من مستلزمات قواعد التحقيق. كما لم يتعرض إلى عصره، فمن المتفق عليه عند مدارس التحقيق أن يخصص المحقق فصلا تمهيدا بتعرض فيه إلى التعريف بالمؤلف، والمعارف التي تلقاها، وبالمناصب التي شغلها، وبأساتذته الذين أخذ عليهم، كما يتمحور على البيئة التي عاش فيها صاحب المخطوط ومكانته داخلها، وكذلك المصادر التي ترجمت له،⁸ وهي كلها أمور أغفلها ليفي بروفنسال رغم أهميتها في أي تحقيق، ناهيك عدم تعرضه للتعريف بالمخطوط المحقق، عنوانه، وصحة نسبه إلى مؤلفه، كما أهمل المحقق التعرض لمنهج المؤلف في تحقيقه من حيث دواعي تحقيق المخطوط، والمنهج الذي اتبعه فيه، والنسخ التي عاد إليها، والحاصل أن قارئ النص على هذه الصورة المبثورة لا يجد أجوبة شافية عن مثل هذه الإشكاليات التي لا يجوز إغفالها، ذلك أنها تقدم للقارئ معلومات هامة حول المخطوط وأهميته.

- رغم أن الحواشي تعطي قيمة علمية للبحث، إلا أن ليفي بروفنسال اكتفى في الحواشي التي ذيل بها المتن بتقنية لا تزيد عن مقارنة النسختين المعتمدين وذكر ما تزيد أو تنقص إحداها عن الأخرى، رمز للأولى بحرف A، وللثانية بحرف B فمثلا يكتب في الحواشي عند مقارنته للنسختين المعتمدين (Manque dans A, blanc dans B) كما أنه لم يتعرض إلى المصادر و المراجع التي ساعدته في إنجاز عمله، وكذلك لم يقيم بالتعريف بالشخصيات الواردة في نص المخطوط، وأسماء المدن، والمواقع، وكل ذلك يعتبر إخلال بالمنهج العلمي للتحقيق الذي يتطلب الصرامة في كذلك.¹⁰

- ما يلاحظ أيضا على المحقق أنه لم يقارن المخطوطين اللذين كانا بين يديه بمخطوط آخر كان موجود بالخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط تحت رقم 336.¹¹ فقد إعتد هو على مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 200 في 232 ورقة وهي ناقصة ومخطوطة باريس وهي مبتورة من الأول والآخر، وهو ما أثر شكل واضح في عمله التحقيقي فالحقق التزيه مطالب بأن تجتمع له كل نسخ المخطوط لإستكمال عمله بهدف إخراج النص بطريقة علمية.¹²

- حينما تسقط كلمات أو حتى فقرة بكاملها في النسختين المعتمدين، فإن برونفيسال لا يستدرك ما سقط من كلمات بالإشارة إلى ذلك في الهامش وهذا يخالف قواعد التحقيق، فالمتعارف عليه في عملية تحقيق المخطوط أن المحقق مطالب باستنتاج ما سقط من كلمات بوضع هامش لها.

- ينقص كتاب البيان المغرب المحقق من قبل ليفي برونفيسال بعض الفهارس مثل فهرس أسماء الأعلام، وفهرس أسماء الأماكن، وفهرس الأشعار، التي يتضمنها الكتاب، فالفهارس تعتبر من المكملات في عملية التحقيق، فإذا كان المخطوط مثل الخزانة المقفلة، فالفهارس هي المفاتيح التي تجعل القارئ يستخرج من تلك الخزانة كنوزها، ويستفيد منها إلى أقصى حدود الإفادة،¹³ وبالتالي فلو وضع المحقق هذه الفهارس لزادت التحقيق دقة و ضبطا و تسهيلا للمطلع على الكتاب وما يحتاجه من البحث بكل سهولة.

- من الأمور الملفتة للإنتباه في النص المحقق، أن الأستاذ ليفي برونفيسال لم يذكر في ختام عمله المصادر والمراجع التي اعتمد عليها أثناء عملية التحقيق، فالحقق التزيه هو الذي يعتمد في عملية

تحقيق النص على مجموعة من المصادر تساعد في إمطة اللثام عن الكثير من القضايا تمهيدا لتعديل ما يمكن تعديله أو إضافته إلى الفراغات الموجودة في النص الأصلي،¹⁴ كما أن الاعتماد على المراجع يزيد من توسيع مدارك المحقق، وهذه كلها جوانب أهملها برونفسال في عملية التحقيق رغم أهميتها العلمية.

- إن قارئ النص المحقق للأستاذ برونفسال يلاحظ أنه جاء مليئا بالأخطاء سواء الأخطاء الإملائية واللغوية أو الأخطاء العلمية، وقد أضر ذلك كثيرا بالتحقيق الذي يتطلب تجنب مثل هذه الأخطاء، ومن بين الأخطاء في النص المحقق نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

● لم تزل الشيعة منذ مات علي بن أبي طالب (ص 134) "لم تزل الشيعة منذ أن مات علي بن أبي طالب."

● فلما توصل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة (ص 163) "فلما وصل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة".

● ودارت بين ابن أبي العيش و بين ابن أبي العافية (ص 200) و دارت بين ابن أبي العيش وبين أبي العافية".

- وقد وقع الأستاذ برونفسال في مزالق خطيرة أدت إلى تشويه بعض المعاني بسبب قراءة خاطئة للألفاظ، ونسوق في ذلك نموذجا واحدا: "ثم وصله الخبر أنه توجه إلى ناحية فاس فبعد ذلك رجع نصير الدولة إلى تيهرت وأشير" واللفظة في الواقع هي فعند ذلك وليس فبعد ذلك،¹⁵

والملاحظ أنه بإحلال اللفظة الأولى مكان الثانية يتغير المعنى، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور تحليلات خاطئة لأنهما مقروءة خطأ. إن عمل المحقق التريه يتطلب منه مراجعة النص عدة مرات حتى يبتعد عن التحريف في الألفاظ. وحتى وإن أورد المؤلف هذه الأخطاء وهي كثيرة الحدوث في النصوص الأصلية، وجب على المحقق تصحيحها في الحواشي لإعطاء القيمة العلمية للعمل الذي يقوم به.

- مما يلاحظ كذلك على تحقيق الأستاذ بروفنسال أنه لم يلتزم في مواضع إستعمال الفواصل و الإشارات، وكمثال على ذلك يضع علامة التعجب عند كلمة "رحمه الله" ¹⁶ "بسم الله الرحمن الرحيم" ¹⁷ الأمر الذي يطرح أكثر من علامة استفهام خاصة أن علامات التعجب كما جرت الأعراف توضح في ختام الفكرة في حالة إذا كان صاحب النص يبدي إستغرابه من فكرة معينة. وبما أن المؤلف لم يضع هذه العلامات، فالمسؤولية كلها تقع على المحقق.

- من الملاحظ كذلك أن بروفنسال استخدم عبارة "رضي الله عنه" في شكلها المختزل (رضه) ¹⁸ وهذا يخالف قواعد التحقيق التي تتطلب ترك العبارة كما هي في النص فكتابتها بهذه الصورة في المتن يعتبر تشويها لعمل المؤلف.

- من الثغرات التي تحسب على ليفي بروفنسال في عملية التحقيق عدم إفادة القارئ المطلع على الرسم الحرفي الذي اعتمده في التحقيق، والطريقة التي اعتمدها لتبديل ذلك الرسم، ذلك أن للنص حرمة و أمانته، كما أن المنهج الحديث يعنى في ضبط الرسم عناية كبيرة أثناء عملية

التحقيق.¹⁹ ولعل غياب ذلك ساهم بقسط كبير في التنقيص من تحقيق كتاب "البيان المغرب" بشكل ظاهر للعيان.

- لم يسعى الأستاذ بروفنسال إلى بذل جهود من أجل معرفة أصحاب الأبيات الشعرية الواردة في التحقيق وهي كثيرة، إذ أن من الصرامة العلمية في هذه الحالة تقتضي من المحقق أن يرجع كل نص نقله المؤلف ولم يحل إلى مصدره، إلى أصله ثم توثيقه، وهذا ما يعرف بضبط النص و تقويمه، ولدينا نماذج كثيرة من الأبيات الشعرية التي يجهل القارئ أسماء أصحابها.²⁰

- يبقى أن نقول أن عمل بروفنسال يندرج في خانة النشر²¹ وفقط، نظرا لعدم قيامه بتحقيق تراث لبلاد المغرب الإسلامي تحقيقا علميا، وهذا ينطبق على معظم التحقيقات الإستشرافية التي سارت في هذا الاتجاه، لذا فإن مهمة الباحثين والدارسين لهذا التراث أن تتجه إلى تطهير تراث المغرب الإسلامي بإعادة النظر فيما نشره هؤلاء، ولا يأتي ذلك إلا عن طريق إعادة تحقيق هذه الأعمال المنشورة للمستشرقين، تحقيقا علميا رصينا أو بتعبير الأستاذ محمود حمدي زفروق²²، "والواجب الإسلامي يقتضي أن نعمل على تنقية هذا التراث العظيم وغربلته وإزالة الغيوم التي تحجب عنا إشراق شمسهِ.

الإحالات

¹⁻ عبد القادر بوباية، المستشرقون و كتابة التاريخ الإسلامي، ليفي بروفنسال أمودجا، مجلة عصور، العدد 2، مكتبة الرشد للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ديسمبر 2002، ص 86.

²⁻ يتضح ذلك من خلال الكثير من إنتاجاته ينظر على سبيل المثال تحامله على المرابطين، فقد جعل قدمهم إلى الأندلس نذيرا بإنقلاب بعيد المدى، فقد زالت دولة الحضارة، و قامت على أنقاضها الهمجية،

منهجية تحقيق تراث المغرب الإسلامي المخطوط عند ليفي بروفنسال كتاب "البيان المغرب في أخبار

ص 42-52

الأندلس والمغرب أمودجا"

Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge. Maisonneuve-leiden. J. Bill (3^{ème} édition 1981) P.

³⁻ يذهب أشباح في كتابه تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين إلى أن دخول المغاربة إلى الأندلس

كان سببا في إغيار الثراء العظيم الذي عرفته الأندلس في عهد الدولة الأموية و ملوك الطوائف، ينظر : عصر المرابطين و الموحدين ج1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر 1964، ص 434.

⁴⁻ سلطاني الجليلي، الحركة الثقافية و الفكرية في عصر المرابطين، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، بقسم الحضارة الإسلامية وهران، ص 292.

⁵⁻ ابراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغربي الإسلامي و تاريخه الإقتصادي و الإجتماعي، دار الطليعة، بيروت ط1، مارس 2002، ص 9.

⁶⁻ عبد القادر بوبايا، المقال السابق، ص 93.

⁷⁻ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 10.

⁸⁻ عبد الحق زريوح، منهج تحقيق المخطوط، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد العاشر، مارس 2006، جامعة تلمسان، ص 192.

⁹⁻ عبد السلام هارون، تحقيق النصوص و نشرها، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977، ص ص 44 - 45.

¹⁰⁻ فهمي سعد و طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية و التطبيق، دراسة و تحقيق، دار عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ص 48.

¹¹⁻ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، المخطوط د336، الخزنة الحسنية الملكية بالرباط.

¹²⁻ زريوح عبد الحق، المقال السابق، ص 189.

¹³⁻ ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر الجزائر 2000، ص 57.

¹⁴⁻ ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 15.

¹⁵⁻ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ج1 تحقيق ج.س. كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة - بيروت لبنان ط3، 1983، ص 250.

¹⁶⁻ نفسه، ص 81 - 164 - 248.

¹⁷⁻ نفسه، ص 164.

¹⁸⁻ نفسه، ص 134.

منهجية تحقيق تراث المغرب الإسلامي المخطوط عند ليفي بروفنسال كتاب "البيان المغرب في أخبار

ص 42-52

الأندلس والمغرب أمموجا"

¹⁹⁻ محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة الدراسات البيبلوغرافية رقم 1 ج2 (الفترة المعاصرة) مطبعة فضالة المحمدية 1989، ص 340.

²⁰⁻ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ج1، ص 81 - 147.

²¹⁻ ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 17، عبد القادر بوباية، المقال السابق، ص 94.

²²⁻ محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع الكويت 1983، ص 149.